"النص الرقمي وميلاد القارئ التفاعلي"

سعيدة حمداوي
جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي

ملخص:

تستعرض هذه الورقة البحثية مصطلح من أهم مصطلحات الأدب الرقمي المستمد من حقل التكنولوجيا الحاسوبية. ألا وهو مصطلح التفاعل أو التفاعلية هذا الشكل الجديد من الكتابة الأدبية غير بدوره شكل القراءة ونوع القارئ. هذا الأخير انتقل من تلقيه السلبي السطحي إلى دور إيجابي منتج؛ منحه وظيفة أكثر ديناميكية، ذلك أن تحقق هذه الوظائف يتوقف عند فهم طبيعة الوسيط، ومن خلال التزود بتقنيات لغة الحاسوب؛ لاستيعاب تراتبية اللحظة التفاعلية في كل مراحلها وأشكالها، وقلب بنية النص رأسا على عقب نتيجة تجاوز اللغة النمطية المكتوبة إلى مكونات أخرى: صورة، صوت، مشهد سينمائي، حركة، فتغدو سريعة خاطفة مباغتة، وهو ما يجعلها تتحول إلى جزء من كل يكتب ويرسم بالصورة والصوت والحركة السينمائية مشاهد ذهنية ومادية متحركة؛ ما يعني أن اللغة تعود إلى شكلها الأول، وهو الرسم، لتُمشهد الأحداث، وتقولبها في شكل صور قد تكون مادية أو مجردة.

الكلمات المفتاحية:

النص، الرقمي، القارئ، التفاعل، الترابط

بنى الأدب الرقمي مفاهيمه ومصطلحاته على دور القارئ وعول على جوالته ومغامرته عبر زوايا النص ونشاطه الدائم في غابة التقنيات التكنولوجية، ذلك أن التفاعل والتشارك الذي يمارسه القارئ هو الأصل في صيرورة النص الرقمي وتوليد الدلالات الموزعة في مختلف الزوايا الإلكترونية المعتمة والتي تنهض بنقرة رابط كلمة أو أيقونة أو نقرات لمجموعة من الروابط المتتابعة، وفي غياب هذه العملية يكون جزء مهم من النص في حالة غياب، وتلغى الكثير من الاحتمالات بشأن فراغات النص. ومن ثم، تبقى الكثير من التساؤلات دون إجابة مقنعة متتابعة.

لقد أسهمت الكتابة المستندة على التقنيات الرقمية والبرمجيات الحديثة في تفاعل إيجابي وفعال للقارئ مع بنيات النص، إذ منحته وظيفة أكثر توسعا بالنظر إلى مشاركته وانسجامه في عملية البناء والتركيب وخيارته المتعددة في تحيين ومتابعة النص. ومن ثم، التعليق عليه وإبداء ملاحظاته بشأن أي عنصر من العناصر النصية؛ ما يعني اتساع صلاحية القارئ مقارنة بحاله مع النصوص الورقية، و قدرته في الآن نفسه على التفاعل مع النص دون قيود مفروضة عليه؛ لأن يكون في تماس مباشر مع النص وتشعباته النصوصية بسبب وجود الروابط التي تجعله يختار ما يشاء من بدايات أو نهايات، هذه التقنية تتيح مجموعة من الخيارات للقارئ والمبدع على حد سواء.

1- حدود القارئ التفاعلي:

إن وسم التفاعلية الذي بات لصيقا بكل من النص والقارئ ارتبط بظهور الحاسوب والنشر الإلكتروني، إذ بات بإمكان القارئ الاستفادة من أهم منتجات العصر اعتمادا على ملكات وقدرات خاصة بكيفية تلقي النصوص الرقمية المتشعبة، والوعي بآلية قراءة مجمل الوسائط المتعددة المعتمدة عليها لبناء هيكل وفضاء مثل هذا النوع من النصوص. ذلك أن التفاعلية تشكل " بين النص المتشعب وقارئه علاقة تناظرية وغير أحادية. معنى ذلك أن عملية التواصل لا تكون في اتجاه واحد، وإنما في اتجاهين، فخلافا للنص الورقي التقليدي، هناك تفاعل حقيقي بين النص المتشعب وقارئه، الذي يستطيع، على سبيل المثال، أن يخط لنفسه طريقاً خاصاً في قراءة الوثيقة المقروءة، يمكنه استبعاد قسم من النص، أو عدم مشاهدة مشهد ما كما يمكنه الذهاب رأساً إلى ما يعتبره أساسياً، وبالتالي إسقاط جانب من الجوانب"[1].

تأسيسا على ما سبق، يفترض في القارئ التفاعلي وعيه بمجمل الرموز والعلامات الخاصة بالكتابة الرقمية ، "الذي يمتلك لغته الخاصة، ذلك أن التعامل مع الملفات الرقمية يشبه إلى حدّ كبير فكرة إدراك التشكيل البصري للكلمة في العربية بواسطة العلامات الإعرابية، وهي علامات تساعد على تحديد معنى الكلمة ووظيفتها في الجملة، ... يمثل علامة للتعرف إلى الملف، من حيث نوعه، ووظيفته، والمادة الرقمية التي يتضمنها، وهنا يجد المتلقي نفسه إزاء مجموعة من العلامات الدقيقة، التي تتضام كل مجموعة منها لتشكل حزمة من العلامات الإعرابية المتميزة"[2].

تتيح بعض النصوص الرقمية فرصة ذهبية تجعل القارئ " يدون في الفضاء الأبيض المحيط بالنص ملاحظاته وانطباعاته وسائر ما يخطر بباله أثناء القراءة، ويضع علامات أو رموز على الفقرات والأسطر التي تبدو له ذات فائدة، فإنّ هذه الإمكانية للتدخل في النص تضاعفت مع القراءة في الشاشة، بحيث صار بإمكان القارئ أن يتدخل في النص نفسه، عبر نسخه كاملا أو نسخ فقرات منه ولصقهما في أمكنة أخرى، كما أصبح بإمكانه أن يتدخل في أسلوب النص ولغته"[3]، وهذه المشاركة تستهدف قارئا يكون في درجة واحدة مع المبدع الذي يدعوه إلى مقاسمته كتابة النص، والأهم تمكنه من البرمجيات الحديثة ومستوعبا لتقنيات الإبحار عبر الشبكة.

2- القارئ التفاعلي في قصيدة "لامتناهيات الجدار الناري" لـ مشتاق عباس معن:

تمثل قصيدة "لامتناهيات الجدار الناري" لـ **مشتاق عباس معن** التجربة الثانية للشاعر بعد أن سبقتها قصيدته الرقمية الرائدة في الوطن العربي "تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق ". وكما هو الحال مع عنوان القصيدة الأولى التي تتضمن مفردة الرقمية صريحة، يتبدى من خلال عنوان القصيدة الثانية إحالة مباشرة على عوالم الشبكة المعلوماتية ومصطلحات الحاسوبية ذلك أن الجدار الناري (Firewall) "هو حاجز الحماية الأول في الحاسب أو الهاتف الخاص بك، حيث يقوم

بفلترة ما يدخل إلى جهازك بحيث يسمح لما هو معروف بالدخول ويمنع كل ما يشتبه به من الوصول إلى جهازك بحيث تضمن حماية الجهاز الخاص بك قبل أن يدخل إليه أي ما يضره، في الغالب يكون الجدار الناري موجود بشكل افتراضي على الحاسب"[4]. من هنا، يتساءل القارئ لأول وهلة عن مبرر لهذا العنوان، وما السبب في تسمية القصيدة بجدار الحماية، ومن أي شيء يعزلنا هذا الجدار الناري الذي يتم تأسيسه في المباني، والذي يعمل على منع انتشار الحريق من غرفة إلى أخرى، أو من مبنى إلى أخر . والمرجح أن التسمية رمزية نستبينها من قراءة كل مقاطع القصيدة بعد الخروج من المتاهة التي عمد الشاعر إدخال قارئه إليها، والنضال من أجل الخروج منها إلى بر الأمان؛ ما يعني أن دلالات القصيدة لن تمنح لنا دفعة واحدة بل تنفتح على اللامتناهي.

بمجرد كتابة اسم عنوان القصيدة "لامتناهيات الجدار الناري" على أي متصفح للأنترنات أو تثبيت هذا الرابط http://dr-mushtaq.iq/My-poetry-works/Interactive-digital/ على شاشة الحاسوب نجد أنفسنا أمام ساعة حائطية باللون الذهبي على خلفية سوداء تتشكل بالتدريج، ويرافق صوت عقارب الساعة معزوفة موسيقية. هذه الساعة ترتقب أي قارئ ليضغط على أحد أرقامها الرومانية. ونشير في هذا الصدد إلى حضور الساعة في القصيدة الأولى مع لوحة سلفادور دالي في إحالة على الزمن ووقعه النفسي والوجودي على الإنسان.

بمجرد الضغط على أحد أرقام الساعة يجد القارئ المتصفح نفسه أمام مزيج من المكونات العلامات اللغوية وغير اللغوية فضلا عن الموسيقى المرافقة للنافذة، ويفاجئنا الطفل الفلسطيني حنظلة بكل حمولته النضالية الساخرة في صورة متحركة تحيل إلى حضوره وتواجده الآني، حيث يرافق القارئ ويقوده إلى عالم القصيدة بوصفه دليلا في رحلته إلى هذه المتاهة الزمنية، تاركا له حرية الاختيار في دخول عالم القصيدة والتحكم في نواحيه الشكلية وفقا الروابط القرائية الآتية:

الرابط	وظيفته
عين الذئب	(يتيح إضاءة أكثر للشاشة وبروزا أكثر لصورة الخلفية)
الأفق الكامل	(يتيح للقارئ مساحة أكبر للشاشة)
لون أفقك	(يتيح تغير لون صور الشاشة)
لون بوحك	(يتيح تغير لون خط القصيدة من الأبيض إلى الأزرق)
عيونك الأفق	(يتيح للقارئ التنقل بين أرقام الساعة المحيلة على مقاطع شعرية دون العودة إلى الساعة الموجودة في الصفحة الأولى)
كمم بوحك	(يتيح وقف الموسيقى المرافقة للقصيدة)

يتحول القارئ من وضعه التقليدي المفروض عليه من طرف الشعر الورقي إلى متلق شريك أو متعاون بالنظر إلى الصيغة التفاعلية التي يفرضها هذا النوع من الشعر ذي السمة التشعبية المستثمر شاشة الحاسوب صوتا وصورة. فبمجرد تنشيط الروابط على اختلافها وبالنقر عليها يتشكل لدى القارئ المتصفح أفق توقع يكتشف معه خطابات رقمية جديدة تتجلى معها في ومضات شعرية أو شذرات يحصل بالتفاعل معها التأثر والانفعال نتيجة الانغماس في عملية القراءة الفاعلة والمشاركة البناءة مستفيدا مما تمنحه الوسائط المتعددة من إمكانيات للدمج بين النصي وبين السمعي أو البصري، أو الحركي استهدفت تقنية الروابط المعتمدة في القصيدة الرقمية القارئ على وجه التحديد، وهدفت إلى كسر خطية تعامله مع القرائي، التي تعود عليها مع النصوص الورقية للوصول به إلى أقصى درجات التشتيت، تجعله في حالة تيهان وحيرة من أمره؛ بالنظر إلى الطابع المفكك للنص. وقد تراوحت الروابط الموظفة في القصيدة بين روابط شكلية (خارجية) ترتبط بخيارات تغير اللون والموسيقى، وروابط موضوعية (داخلية) تنفتح على ومضات شعرية تعد جزءا لا يتجزأ من القصيدة حيث تنشطها وتجعلها في حالة تحيين وسيرورة دلالية مستمرة.

يستهدف "الجدار الناري" قارئا من نوع خاص له خبرة في التكنولوجيات الحديثة بكل ما تضمه من وسائط رقمية تساعده في تنشيط الروابط بوصفه مدخلا قرائيا لا يستغني عنه هذا النوع الحديث من النصوص، تمكنه من التجول اللامقيد في متاهة القصيدة من جهة، مع وجوب كونه متذوقا للشعر ومتمكنا من تحليل الفنون السمعية البصرية في كل مستوياتها وأبعادها الدلالية والرمزية من جهة أخرى. لبيان تعالق العلامات اللغوية (القصيدة والرموز اللغوية) بالعلامات غير اللغوية(اللون، الشكل، الأيقونات، الإطار).

3- القارئ التفاعلي في القصص المترابطة "غرف ومرايا" لـ لبيبة خمار:

تعول القاصة **لبيبة خمار** في قصصها "غرف ومرايا"[5] على القارئ في جمع شذرات نصوصها القصصية التي فضلت وسمها بالترابطية بالنظر إلى هيمنة الروابط التي تتنوع بين روابط تحيل على نصوص قصصية وقصص فيديو ولوحات تشكيلية

ونصوص شعرية أجنبية أو صورا فوتغرافية وترجمة بأعلام مشاهير. إذ حالما ينشطها القارئ يتعرف على محتوياتها، وهو بصدد فتح الغرف أو تأمل المرايا مشكلة كل منها قصة لكل منها عنوان (حبة البرد، انتصار، خطيئة، قال الراوي، حذاء الحب، هي والحمام، النافذة، الشيطان الصغير، لعبة الحلزون، ريحانة، وسائد وشراشف) كل قصة تعد مركز لشذرات قصصية أو ما يسمى بالقصة الومضة.

أخترنا قصة "حبة البرد" نموذجا لبيان دور القارئ حيث بمجرد الضغط على الأيقونة المشتملة على القصة، وهي عبارة عن انعكاس وجه فتاة في المرآة، فيتم إحالتنا إلى قصة موسومة ب " حبة البرد" تضم أربع كلمات بلون أزرق هي(أحب، ذاب، نلتقي، تهرسها) بمجرد الضغط عليها تنفتح أمامنا قصص أخرى تضم بدورها روابط تنفتح بدورها على قصص. فعلى سبيل المثال حين نضغط على كلمة أحب نجد أنفسنا أما قصة "النافذة" وهي من بين القصص المركزية، وتضم بدورها هذه الكلمات (لوحة الظهيرة، الجالس، غير مألوف، كان، بريئا).

الرابط	نوعه
لوحة الظهيرة	لوحة فنية
الجالس	قصة رئيسة "الشيطان الصغير"
غير مألوف	قصة رئيسة "خطيئة"
كان	قصة رئيسة "قال الراوي"
بريئا	قصة رئيسة "وسائد وشراشف"

تعمل أيقونة المرأة في نهاية القصص على تسهيل عودة القارئ إلى نقطة بدء القصة المركز، وتتيح أيقونة المرآة في أقصى اليمين العودة إلى الصفحة الرئيسة، وتقوم قصص لبيبة خمار على استراتيجية قرائية حيث كلما "انتهى مسار بدأ مدار يعود إلى القصة الأولى فينميها.. ثم المسار الثاني عند انتهائه يعود بواسطة مدار جديد إلى القصة الثانية وهكذا....تتشكل قصص غرف ومرايا المترابطة بمسارات ومدارات"(6). وقد جاء في كلمة القاصة حديث عن دور الروابط في تفعيل القارئ ومنح النص شكلا مختلفا عن سابقه من نصوص، حيث توجه للقارئ خطابها الآتي: " فمرحبا بك أيها المبحر الكريم في هاته العوالم المتشظية التي تروم ارتباطها وانسجامها عبر خيط وعقدة..هي: الرابط. .. فانقر على الصور المتناثرة وجمع الخيوط أيها القارئ الشغوف.. وتحية لكل الأزارقة الخوارج وإليك أنت أيها السارد الأزرق يا من تراقبنا في غفلة.."(7).

مما سبق، توضح القاصة مجموعة من الوظائف التي تؤديها الروابط في قصصها الترابطية، والتي نستعرضها في المخطط الآتي[8]:

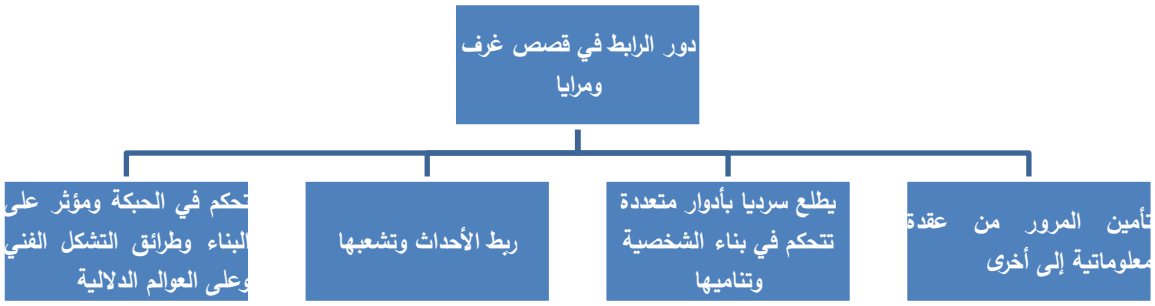

4- القارئ التفاعلي في رواية ظلال العاشق لـ محمد سناجلة:

ارتبط اسم **محمد سناجلة** بالرواية الواقعية الرقمية، وبكاد تكون أعماله الوحيدة في الساحة الروائية العربية المهتمة بهذا الشكل الجديد من الكتابة التكنولوجية ، إذ صدر له لحد الآن "ظلال الواحد"، "شات"، "صقيع"، وأخرها رواية "ظلال العاشق سيرة كموش" ، ليؤسس حسب **زهور كرام** "حالة ثقافية عربية جديدة، تعتمد الإبداع الرقمي تعبيرا جديدا عن الذات والعالم"[9]. هذه الروايات أحدثت حولها حركة نقلة نوعية في مجال القراءة.

وقع اختيارنا على أخر أعمال **سناجلة** "ظلال العاشق" (التاريخ السري لكموش) بالنظر إلى الاشتغال الكثيف على الروابط والطائرات والهوامش هذه التقنيات تحتاج قارئا يقوم بتشغيلها؛ ما يعني دعمها لعنصر المُشاهدة، الذي يحضر بقوة دلالية

في نظام النص، من خلال أنه يضع القارئ أمام سفر تاريخي فلسفي وجودي ، وتجعل النص في حالة التعدد المفتوح حسب تحقق القارئ الرقمي، وقدرته على التأليف المُنتج للحالات النصية[10].

بعودتنا إلى موقع الروائي في الشبكة المعلوماتية، وبنقرنا على أيقونة "ظلال العاشق"[11] نجد أن هناك نوافذ تتيح للقارئ فرصة أن يتحول من مجرد قارئ تفاعلي إلى قارئ تشاركي يكتب نهايته الخاصة للقصة أو تعليقه عن الأحداث أو يراسل الشخصيتين المحوريتين كموش وفاطيما. وما نلاحظه عزوفا من القارئ لتمثل هذه الوظيفة عدا رسالة واحدة موجهة إلى الإله كموش تختصر في ثنائية العنف(الدم)/ الحب. ودعوته إلى أن يتخذ هذا الأخير قانونا في حكمه للمملكة. أما الرسالة التشاركية الثانية، فموجهة إلى الأميرة فاطيما، ومن طرف القارئ ذاته (سلام الجمل)، فهي تحمل المضامين التي تنتصر للحب والتصالح.

رسائل للإله كموش

عدد الرسائل للإله كموش : ٢

١. سلام الجمل:
من: العراق
٣٠ أبريل، ٢٠١٧ الساعة ١٢:٠٢ م
تحية طيبة تليق بـ إله بشري مثلنا. كموش الإله الذي نرى صورتنا فيه، فهو لا يرتقي الى العلياء وحده، وانما يحملنا معه ونحمله معنا. فحن هو وهو نحن.
قرأت تأريخك الخصب بالدماء والحب، ولا اعرف كيف يجتمع الحب والدم. إلا في مناسبة واحدة، وهي مناسبة فض البكارة!!...
ارجوك ان تلحظ اننا نعيد بناء تاريخك المشبع بالدماء، منذ فجر ظهورك المَيمن، وانت ترسلنا الى الدم، ونرسلك الى الدم... وكأن لا يجمعنا شيء سوى الدم.
هل فكرت يوما أن تجعل صلتنا بك، بعيدة عن الدم؟!
ان تكون بالذاكرة مثلا؟!
وانا الان انتقل من الملموس الى المحسوس.
وانت محسوس لا ملموس.
لذا سيكون من الاجمل ان يكون رباطنا السري بك، هو رباط الذاكرة، أو الحب.
وليس رباط الدم.
رد

رسائل للأميرة فاطيما

عدد الرسائل للأميرة : ٢

١. سلام الجمل:
من: العراق
٣٠ أبريل، ٢٠١٧ الساعة ١٢:١٧ م
سيدتي الاميرة فاطيما.
بداية: اسمك ينتقل منذ فجر المعرفة بيننا. فهو من طبيعتنا الغارقة بالصمت والسر. وكأننا فطمنا عن معرفتك، وفطمت عن معرفتنا، اجد ان الكلمات تنغطم وهي تقترب منك. فأنت أم كموش وزوجه وابنته واخته.
فأنت الاصل، ولا اعرف ما هي فائدة (كموش) دونك...
أرجوك علميه بعض الحب!
فقد يبسنا ويئسنا
رد

نخلص في الأخير استنادا إلى تتبع تحولات القارئ المستهدف من النص الرقمي إلى مجموعة من النتائج والملاحظات من أبرزها:

1- ساهم البعد التفاعلي في افتراضية الأدب الرقمي، بتغييبه للمؤلف، ومنح القارئ فرصة التعليق أو استكمال النص المخزن في ذاكرة الحاسوب، وتتحقق هذه الوظائف عند فهم طبيعة الوسيط، والتزود بتقنيات لغة الحاسوب.

2- تستوعب تراتبية اللحظة التفاعلية في كل مراحلها وأشكالها عملية تلقي هذا النوع من النصوص من لدن القارئ ذلك أنها ليست مجرد تصفح سطحي للنص، إنما تفاعل وبناءٌ مثمر بين جملة من العناصر الفنية منها؛ النصي والأيقوني والصوتي وغيره.

3- يقرأ النص الرقمي بشكل أفقي دون خضوع منه لمسار معين خلاف ما ألفه القارئ من خطية في نظيرته الورقية حيث تقوم الخطية على قلب الصفحات، أما عن اللاخطية فتعتمد على نص ليس له بداية ولانهاية محددة.

4- تغدو القراءة تفاعلية حين يجد القارئ نفسه مهتما بجانب من جوانب النص ، ما يجعله يبحث عن المتواري خلف الروابط من خلال التعليق، وفتح نقاش مع بقية القراء، فيتم بذلك إثراء النص بقراءات مختلفة.

الإحالات:

[1]- مريني محمد. النص الرقمي وإبدلات النقل المعرفي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة،2015، ص: 57.

[2]- المرجع نفسه، ص: 58.

[3]- أسليم، محمد. من الدفتر إلى الشاشة: تحولات القراءة والكتابة ، الرابط الإلكتروني:
http://www.aslim.ma/site/articles.php?action=view&id=59

[4]- مفهوم الجدار الناري، الرابط الإلكتروني:
http://www.computer-wd.com/2016/07/firewall-advantages.html

[5]- خمار، لبيبة. غرف ومرايا، قصص ترابطية، 2017، الرابط الإلكتروني:
https://labiba-meroires.blogspot.com/?m=0

[6]- خمار، لبيبة. كلمة القاصة، الرابط الإلكتروني: https://labiba-meroires.blogspot.com/p/blog-page.html

[7]- الموقع السابق.

[8]- الموقع السابق.

[9]- كرام، زهور. محمد سناجلة يربح الرهان، الرابط الإلكتروني:
http://sanajleh-shades.com/mohammad- sanagleh-winning-bet

[10]- كرام، زهور. "ظلال العاشق من الانبهار إلى السؤال الأدبي، الرابط الإلكتروني:
http://sanajleh-shades.com/pages/articles-and-studies

[11]- سناجلة، محمد. "ظلال العاشق"، الرابط الإلكتروني:
http://sanajleh-shades.com/other-accounts-of-the-author